وفي بطء، دفع غريغور نفسه مع الكرسي نحو الباب، ثم ترك الكرسي هناك، وألقى بنفسه على الباب، واتكأ عليه واقفاً ـ كانت أطراف أرجله الصغيرة دبقة بعض الشيء ـ واستراح لحظة بعد جهوده تلك. لكنه شرع بعد ذلك بإدارة المفتاح في القفل بفمه. وبدا مع الأسف أنه لم يعد يملك أسناناً حقيقية ـ بأي شيء يمكنه أن يمسك المفتاح؟ ـ ولكن فكيه كانا من ناحية ثانية قويين جداً من غير شك. وبمساعدتهما حرك المفتاح فعلاً، غير مبالٍ بأنه كان بلا ريب يؤذي نفسه بشكل أو بآخر، اذ انبثق من فمه سائل أسمر، وجرى على المفتاح، وراح يقطُر فوق أرض الحجرة. وقال كبير الموظفين في الغرفة المجاورة: «اسمعوا! اسمعوا! إنه يدير المفتاح!» وكان في ذلك تشجيع كبير لغريغور. ولكن كان يتعين عليهم جميعاً، الأب والأم أيضاً، أن يصيحوا ابتغاء تشجيعه: «هيا يا غريغور!» كان يتعين عليهم أن يصيحوا: «تابع يا غريغور، تابع، وتشبث بالقفل!»

وتصور انهم كلهم كانوا يتابعون جهوده في انتباه بالغ، وأطبق فكيه بلا وعي على المفتاح، بكل ما كان يملك من قوة. وبقدر ما كان المفتاح يدور، كان هو يدور حول القفل، متمسكاً الآن بفمه ليس غير، متعلقاً بالمفتاح أو، تبعاً للحاجة، جاذباً إياه الى أدنى، كرة أخرى، بكامل ثقل جسده. والحق أن قرقعة القفل الذي انفتح أخيراً أحيت غريغور إحياءً. فقد تنفس الصعداء، وقال في ذات نفسه: «وهكذا لم أحتج الى صانع الأقفال». ووضع رأسه على المقبض ليفتح الباب على مصراعيه.

واذ كان عليه أن يفتح الباب بهذه الطريقة، فقد ظل غير منظور عندما فتح الباب فعلاً. وكان عليه أن يدور في بطء حول أحد المصراعين، وأن يفعل ذلك في كثير من الحذر اذا لم يشأ، قبل دخوله الغرفة الأخرى مباشرة، أن يسقط على ظهره بشكل أخرق. وكان لا يزال مشغولاً بتلك